الأهرام

المصدر: التوعيه الاسلامية
التاريخ: ١٨ ذو القعدة ١٤٠٣

نشاط الأقليات الإسلامية ..

بقلم الدكتور : علي المنتصر الكتاني

لكل أقلية إسلامية نشاط خاص بها ، فهي كالأفراد الذين يكونونها تولد وتنمو وتكبر إذا كانت الفرص مواتية لها ، أو تتعثر وتمرض وتموت إذا لم تكن الفرص كذلك . فوضع كل أقلية إسلامية يتغير بتغير الزمن إما إلى الأحسن أو إلى الأسوأ . وهذا النشاط له علاقة بخاصيات الأقلية نفسها مثل ارتباطها بمبادىء الإسلام وقوة تنظيمها ووحدة صفوفها ومدى تعلم أفرادها .. الخ . وبخاصيات لها علاقة بالأكثرية التي تعيش بينها والعلاقة التي تربط الأقلية بالأكثرية وكذلك بمدى ارتباط الأقلية الإسلامية وعلاقتها بالأمة الإسلامية بصفة عامة .

⊙ ⊙ ⊙

وبصفة عامة يمكن لكل أقلية أن تحافظ على وجودها بانطوائها على نفسها وقطع أكثر صلاتها بالأكثرية التي تعيش في وسطها ، ولكن لا يمكن أن تفعل ذلك الأقلية الإسلامية لأن الانتماء إلى الإسلام بحد ذاته يعني وجوب الدعوة إلى غير المسلمين ، وذلك يعني ربط الصلة بين الأقلية والأكثرية غير الإسلامية . لأن في تفتح الأقلية هذه على الأكثرية الضمان الوحيد لوصول الدعوة الإسلامية إلى الأكثرية ، وإذا سنحت الفرص ، وتحولت الأقلية إلى أكثرية بدخول غير المسلمين في الإسلام . لأن التأثر متبادل بين الأقلية والأكثرية ، فإذا لم تؤثر الأقلية في الأكثرية انصهرت وكان مصيرها الاضمحلال . وفي غالب الأحيان يكون التبادل في التأثير بين الأقلية الإسلامية والأكثرية غير الاسلامية في المجال الاجتماعي والثقافي . ففي أحسن الأحوال تتبنى الأكثريةالمبادىء الإسلامية التى جاءت بها الأقلية وتتخلق بأخلاق الإسلام بينما تقبل الأقلية لغة الأكثرية وعاداتها التي لا تتنافى مع المبادىء الإسلامية ، وهذا بالفعل ما حدث للأقلية الإسلامية التي كانت في أندونيسيا في القرن الثامن الهجري والتي ابتدأت كأقلية من جنوب الجزيرة العربية لغتها العربية ودينها الإسلام على المذهب الشافعي ، فنجحت في جلب الأكثرية إلى الإسلام .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

فتكون من ذلك مجتمع لغته مالوية ودينه إسلامي بما في ذلك المذهب الشافعي ذو حضارة خاصة احتفظت من الثقافة الأندونيسية بما لا يتعارض مع الإسلام .

وبالمقابل يمكن للأقلية الاسلامية أن تفشل ، وبذلك ينتهي بها المصير إلى الانقراض التام ، وذلك بنجاح الأكثرية إما طوعا أو كرها في تذويب أفراد الأقلية داخل بوتقة حضارتها . وبهذه الطريقة اندثرت أقليات كانت في غاية الأهمية في الماضي ولم يبق منها اليوم إلا الذكرى مثل الأقلية المجرية التي وصلت إلى أوجها قبل الفتح العثماني . والأقلية الإسلامية الصقلية التي حافظت على وجودها قرونا بعد سقوط صقلية في يد الاستعمار النورماندي .

⊙ ⊙ ⊙

ومن ناحية أخرى كان بإمكان كل أقلية أن تنجح وتصبح أكثرية فبإمكان الأكثرية أن تبقى أقلية ثم تندثر وهذا ما حدث لدولة الأندلس فعلا التي كانت دولة إسلامية حتى سقوط غرناطة في أواخر القرن الثامن الهجري ، والتي تحول مسلموها إلى أقلية انتهت بالاندثار بعد سقوط غرناطة بما يزيد على القرن .

⊙ ⊙ ⊙

وهنا يجدر بنا أن ننوه بأن الأقلية الإسلامية تواجه مشاكل عدة في مجهودها الرامي للحفاظ على وجودها . ويمكن تلخيص هذه المشاكل بالمشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية . ولا تنجح الأقلية الإسلامية إلا بنجاحها في التغلب على هذه المشاكل .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

ـ المشاكل الاقتصادية

تتركز معاملة الأكثرية المختلقة في غالب الأحيان للأقلية الإسلامية على النواحي الاقتصادية ، فعندما تسيطر دولة غير إسلامية على دولة اسلامية مجاورة كما فعل الاتحاد السوفياتي والحبشة والفلبين بالنسبة لجنوبه والتايلاند بالنسبة لفطاني . أول ما تقوم به الدولة المهاجمة هو مصادرة الأملاك العامة خاصة الأوقاف ، وكذلك الشركات الخاصة التي بيد المسلمين ثم تتوجه إلى مصادرة الأراضي . وبهذا تضع المجموعة الإسلامية في موقف ضعف وفقر وتمنع على المؤسسات الإسلامية ينابيع تمويلها . أما المجموعات الإسلامية التي تتكون من بين المهاجرين ومعتنقي الإسلام الجدد فإنها كذلك تصبح في غالب الأحيان ضحية معاملات اقتصادية تجعلها في موقف ضعيف بالنسبة للأكثرية .

⊙ ⊙ ⊙

ويكمن نجاح الأقلية في تمكنها من مواجهة هذا الوضع وذلك بتنظيم نفسها والعمل على وجود حلول لتمويل مؤسساتها من مساجد ومدارس . وذلك يتطلب انضباطا لدى أفراد الأقلية الإسلامية وامتثالا لزعمائها ، ويتطلب كذلك شعورا وثيقا بأوضاعها وطبعا يعنى ذلك المساهمة المالية من بين أفراد الأقلية تزيد عن مساهمتها في الزكاة . وبهذا لا يمكن للأقلية الإسلامية أن تحافظ على وجودها إلا إذا أصبحت مستقلة في تمويل مؤسساتها عن أي عون خارجي وإلا إذا أصبح التكافل بين أفرادها قويا يضمن مساعدة الغني للضعيف ويضمن إيجاد العمل للأجيال الصاعدة دون ضياع شخصيتها الإسلامية .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

ـ المشاكل الاجتماعيـة

أكبر مشكلة تواجه الأقلية الإسلامية هى خطر انصهارها الاجتماعي في الأكثرية . وهذا الانصهار يكون في غالب الأحيان بطيئا يؤثر على أجيال ويبتدىء هذا الانصهار أولا بعملية تآكل للخاصيات الإسلامية للأقلية ينتهي بضياعها نهائيا بعد جيلين أو ثلاثة ، وعملية الانصهار هذه تكون سريعة كلما ساء تنظيم الأقلية الإسلامية وتفككت أواصرها خاصة إذا انعدمت المدارس لأطفالها والمساجد لكبارها .

⊙ ⊙ ⊙

ففي الوقت الحاضر كما في الماضي قلما تخرج جماعة إسلامية عن دينها طواعية ، لكن عندما تأخذ الأقلية الإسلامية في تقبل العادات غير الإسلامية التي تضعف هويتها يؤدى ذلك إلى تزايد كبير في التزاوج مع غير المسلمين الذي يكون مصيرها في حال ضعف الأقلية الإسلامية خروج الأطفال عن الإسلام وفي آخر المطاف تسهل عملية انصهار الأقلية الإسلامية في الأكثرية . وأول علاماته هذا الانصهار تبديل الأسماء الإسلامية بغيرها خاصة بين أطفال الزيجات مع غير المسلمين فتصبح علاقة هؤلاء الأطفال بعيدة عن الإسلام وعندما يتزوجون بدورهم بغير المسلمين يلدون أطفالا مندمجين تمام الاندماج في ديانة الأكثرية . وبهذا ترتد الأقلية الإسلامية عن الإسلام في أسوأ الحالات في ظرف لا يزيد على حياة ثلاثة أجيال .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وتزيد عملية الانصهار سرعة حتى بدون زواج مختلط عندما تحرم الأقلية الإسلامية من زعامتها ، ولذا نرى القوى المعادية للإسلام تركز عملها أولا على أطفال الجالية ، وثانيا على طرد زعامتها إلى خارج البلاد إما مباشرة أو بضغوط شتى ، أو بالتركيز على إفنائها . وهذا ما حدث في كل الأقليات المضطهدة . فعندما تحرم الأقلية الإسلامية من مثقفيها وعلمائها تصبح مجموعة مشتتة عديمة النفوذ يسهل على الأكثرية امتصاصها والقضاء عليها إذا لم تساند من طرف الأمة الإسلامية .

وفي الواقع تعمل معظم الأقليات الإسلامية على مواجهة هذا المصير الخطير وذلك بطرق شتى . أولها أنها في غالب الأحيان لا تعارض في امتصاص ثقافة الأكثرية مثل اللغة التي لا تتعارض مع الإسلام ونشر الإسلام ونشر الثقافة الإسلامية بتلك اللغة وهذا بالفعل ما حدث للأقلية الإسلامية في الصين التي انصهرت في الثقافة الصينية منذ ما يزيد على ثمانية قرون لكنها حافظت على عقيدتها وهويتها الإسلامية .

⊙ ⊙ ⊙

وهنا كذلك لا يمكن للأقلية الإسلامية أن تواجه الانضهار الاجتماعي إلا بتنظيم نفسها والعمل على تجميع أفرادها في أحياء تكون فيها نسبهم عالية تسمح لهم في نفس الوقت بمجابهة خطر الانصهار الاجتماعي وكذلك القيام بالدعوة لغير المسلمين .. وهذا يعني الحل الوسط بين تجميع المسلمين في أحياء إسلامية صرفة وتشتيتهم المطلق بين غيرهم . وهذا التجميع يكون ضروريا كذلك لجعل المؤسسات الإسلامية تعمل بطريقة اقتصادية وكذلك بتشجيع المسلمين على ربط أكثر صلاتهم مع بعضهم حتى يتساعدوا في الحفاظ على شخصيتهم .

⊙ ⊙ ⊙

وفي الأقليات الإسلامية الناجحة تكون شخصية الأقلية قوية لدرجة أنها تقوم بالدعوة لغير المسلمين ، ففي هذه الحالة يكون الزواج المختلط طريقا لنشر الإسلام بين الأكثرية ، ولا محالة تتحول هذه الأقلية إلى أكثرية إذا تغلبت مبادىء الإسلام وأخلاقه الاجتماعية .

ـ المشاكل السياسية

من أهم المشاكل التي تواجهها الأقلية الإسلامية هى تآكل حقوقها السياسية أفرادا وجماعات من طرف الأكثرية .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وفي اسوأ الاحوال يأخذ هذا الاضطهاد السياسي شكل اعتبار الانتماء إلى الإسلام جريمة يعاقب عليها القانون ، وفي هذه الأحوال يصبح وجود الأقلية قانونيا شيئا مستحيلا ، ويحتفظ معظم المسلمين في هذه الحالة بدينهم سرا يعاقبون إذا اكتشف أمرهم عليه . وهذا بالفعل ما يحدث في دول شيوعية مثل البانيا وغيرها في عصرنا الحاضر . وفي حالات أكثر شيوعا يأخذ هذا الاضطهاد السياسي شكل عدم الاعتراف بالأقلية الإسلامية كمجموعة خاصة ، وهذا هو الحال في معظم دول أوروبا الغربية كألمانيا وفرنسا وبريطانيا . وهذه الحالة تؤدي بالضرورة إلى عدم الاكتراث بالمبادىء الإسلامية في تشريع قوانين الدولة ، مما يؤدى إلى تشجيع عملية انصهار الأقلية في الأكثرية . وكمثال على ما نقول نأخذ حال الأقلية الإسلامية في السويد قبل الاعتراف بالإسلام في تلك البلاد من عدة سنوات .. وحيث توجد أقلية إسلامية يزيد عدد أفرادها على خمسة وعشرين نسمة ..

□ ففي السويد تعد الكنيسة اللوثرية هي الدين الرسمي للدولة ويعني ذلك أن الدولة تأخذ من جميع المقيمين في البلاد ١٪ من دخلهم تعطيه للكنيسة الرسمية . وللحفاظ على حقوق الأقليات الدينية ، اعترفت الدولة ببعضها مثل اليهودية والكاثوليكية . وهذا الاعتراف يعني أن الدولة تأخذ نصيب الواحد في المائة الذي يساهم به أفراد هذه الأقليات وتعطيه إلى تنظيمهم الديني . وعدم الاعتراف بالأقلية الإسلامية كان معناه أن المسلمين يجبرون على المساهمة في ميزانية الكنيسة الرسمية بدفعهم ١ ٪ من دخلهم لها . وكذلك يجبر أولادهم على الخيار بين تعلم العقيدة اللوثرية في المدارس العامة أو الأخلاق اللادينية . هذا مثال بسيط وهناك أمثلة متعددة تظهر مدى المشكلة التي تواجهها الأقلية الإسلامية .

وفي كثير من الأحيان ياخذ الضغط السياسي على الأفراد المسلمين شكلا قويا يضطرهم إلى اللجوء في كثير من الأحيان إلى الخيارات الثلاثة التالية : ـــ

أ) الهجرة ومغادرة البلاد .

ب) إضعاف انتماءهم الإسلامي حتى تتقبلهم الأكثرية وبهذا يصبحون أعداء للأقلية الإسلامية التي ينتمون إليها .

ج) أو اللجوء إلى الجماعات المتطرفة في الدولة الخارجة على الإسلام في أكثرها وفي هذه الحالات تكون خسارة الأقلية الإسلامية خسارة لا تعوض .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

وفي كثير من الأحيان تنجح الأقلية الإسلامية في مواجهة هذا الخطر وذلك على مستويات متعددة . فأول نجاح للأقلية الإسلامية هو الاعتراف بها من طرف حكومة الدولة التي تعيش فيها كمجموعة دينية ذات اختصاصيات مختلفة عن الأكثرية . وبذلك الاعتراف يمكن للأقلية أن تطالب بحقوقها التي تجعلها تتساوى مع الأقليات الدينية الأخرى وبالتالي مع الأكثرية . وعندما تكون الأقلية كبيرة يمكنها المطالبة بحقوقها السياسية كذلك . ثم التأثير على الدولة كلها بتعريفها بمبادىء الإسلام وأخلاقه . وهذا بالفعل ما حدث للأقلية الإسلامية في فنلندا التي اعترف بها كأقلية دينية سنة ١٩٢٥ م رغم قلة عدد أفرادها ، والأقلية الإسلامية في يوغوسلافيا التي اعترف بها كقومية خاصة . أما الأقليات الإسلامية في فيجي في المحيط الهادي وترينداد وغويانا في أمريكا الجنوبية فقد نجحت في الحصول على حقوق سياسية شتى ، بل وصلت إلى جعل الأعياد الإسلامية أعيادا قومية للدولة بأكملها .

ـــ خاتمـــة

لقد عرضنا هنا بعض المشاكل الإسلامية التي تواجه الأقليات الإسلامية . وسنرى مستقبلا مشاكل الدعوة بين الأقليات الإسلامية وكذلك أهمية الاهتمام بالطفل في الدول الإسلامية . وبصفة عامة يرتبط مستقبل أية أقلية إسلامية بعاملين اثنين هما مدى ارتباط تلك الأقلية بالإسلام ومبادئه ، ثم مدى تقبل تلك الأكثرية لوجود الأقلية . أما عامل ارتباط الأقلية بدار الإسلام فهو عامل مهم يساهم في العاملين الأولين مساهمة مباشرة إذ يساعد على تقوية انتماءها الإسلامي كما يساعدها على مجابهة الأخطار التي تواجهها .

وإذا تطلعنا إلى التاريخ الإسلامي نرى أن الأقليات الإسلامية عاشت واندثرت بالعشرات ولم ينج منها إلا بعضها وهذا يعني أهمية الاهتمام بالأقليات الإسلامية حتى لاتضيع كما ضاعت أقليات كثيرة قبلها ، إذ موضوع الاهتمام بالأقليات الإسلامية ليس هو موضوع خيار وإنما هو واجب على كل مسلم يهتم بمستقبل وبقاء الأمة الإسلامية بأكملها .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية